

بيت الحنان" لإفلين عقاد

مؤلف جديد تعرّي فيه العنف النسائي

جريدة "النهار" 1 تموز 2021

روزيت فاضل

أضافت الأدبية والروائية إفلين عقاد رصيذاً جديداً الى نضالها في الحركة النسائية اللبنانية من خلال كتابها "بيت الحنان" الصادر عن "دار لارماتان" الفرنسية. تملك عقاد بجرأتها المعهودة أن تحكي باسمنا، أو أن تكشف شيئاً من ذاتنا لأن مجموعة هذه القصص القصيرة تعكس رغبة نساء لبنانيات عدة، ومن جميع الأديان، في استعادة الثقة والهدوء الداخلي بعد تعرضهن للعنف من محيطهم الأسري.

ما أهمية هذا الكتاب؟ لا شك في أن الكتابة تساعد على الوعي، على التساؤل وعلى بحث المشكلات، وهي من الركائز الأساسية التي تناولتها عقاد في مؤلفها الذي يصلح لأن يكون مرجعاً في مجالات علم الاجتماع ودراسات الجندر والمرأة، والأدب النسائي.

الكتاب عمل واقعي يتميز بقبصص ذاتية تكشف من الصفحة الأولى لهذا العمل الجهد الجبار الذي بذلته عقاد مع شقيقتها جاكلين حجار، لتأسيس "بيت الحنان" في شارع الحمراء، وهو السقف الحامي للنساء المعنفات، اللواتي يذكرن من خلال هذا الكتاب نماذج ليوميات من العنف الجسدي، أو ما تعرضت له واحدة منهن من سفاح قربي أو قمع من السلطة الأبوية البطريكية، أو سيطرة الزوج، وتفاصيل العنف الجسدي والمادي والمعنوي والنفسي ضد النساء، مع إبقاء نافذة من الأمل والتجدد مشرعة على غد أفضل لكل واحدة تطورت في كنف "بيت الحنان".

ما يميز هذا الكتاب عن سواه أنه أوجد "بيت الحنان" كسترة نجاة لعودة النساء المعنفات الى الحياة. هو ذلك البيت، الذي يوفر مجاناً الدعم لهذه الشريحة المغلوبة على أمرها للمضي قدماً في الحياة من خلال الإصغاء بتأن لوجعهن في "بيت الحنان"، وصولاً الى دعم هذه الشريحة وحثها على التسلح بأسس جديدة ومتينة لمواجهة الحياة وما يرافقها من صراعات وحالات طارئة صعبة.

تحولت عقاد، التي نقلت لنا خمس شهادات مختلفة لنساء معنفات، الى تلك الصرخة المدوية في هذا المجتمع الذكوري التقليدي. تملك الجرأة لأن تعرّي العنف ضد النساء بأشكاله المختلفة معتمدة على توصيف النموذج البشري "المفترس" للضحية، توصيفاً دقيقاً بدت وكأنها تعكس الرؤية الموضوعية للألم، للقلق، للإرهاق الروحي والجسدي، للخوف من مواجهة بين الضحية والسفاح.

تستوقف القارئ إحدى القصص، التي حملت عنواناً مثيراً جداً، هو "البحث عن النجوم"، يلخص في طياته مواجهة بين طفلة وراشد، وهو الجد، الذي مارس سفاح القربي مع حفيده. كشفت عقاد في هذا الفصل من القصة الميل المَرَضِي عند الجد في التحرش بحفيده، التي خضعت لمشيئته، وهي تكتم الوجد في داخلها.

وتستمر الحكاية في فصول مخجلة يُغسل العار فيها بتجريم الفتاة ووضعها في مستشفى خاص لمعالجتها من اكتئاب حاد، مشيرة الى أن هذه الفتاة الموجهة تحولت مع الزمن الى متطوعة في "بيت الحنان" والى امرأة استطاعت قلب صفحة الوجد العميق في ذاتها، والذي كان يستيقظ أحياناً من داخلها، لتبدأ حياة طبيعية مع الشريك.

ماذا يضيف هذا الكتاب وبماذا يتميز عن مجموعة الكتب الأخرى عن العنف ضد المرأة؟ في الحقيقة، يجد كل واحد منا نفسه في شخصية من شخصيات هذا الكتاب. الأهم في كل ذلك، أن الأدبية إفلين عقاد شاركت القارئ تجاربها الخاصة في قصتين: الأولى في بداية الكتاب تحكي فيها عن نفسها، عن تمرداها على الموروثات العائلية، والتقاليد المقيدة للفتاة وغريزة الأبوة في إصدار قرارات مصيرية بمنأى عن "صاحبة العلاقة". اللافت في فصول هذه القصة أن عقاب التمرد على القرارات العائلية قضى بقراءة الإنجيل، كأنها خطوة فرضها الأهل لتطهير الذات، ولعودة النفس الى أتون التربية المسيحية بالتابوهات، التي تمردت عليها عقاد...

أما القصة الثانية، التي تحكي فيها المؤلفة عن نفسها، فهي عودتها من الموت بعد انفجار 4 آب، وخضوعها في المستشفى لجراحة من دون بنج لتضميد جروح بليغة في رأسها وجسمها...

يتخذ الكتاب بُعداً كونياً لأن وجع نساء العالم واحد، وقصص ضحايا العنف النسائي متشابهة في كل مكان. لا شك في أن عقاد، التي كتبت هذا المؤلف، جعلت من الكتابة تجاوزاً جوهرياً لكل الحدود، لترفع الصوت على الخطر الحقيقي في حلقة العنف، التي قد تطاول عدداً من النساء دون استثناء وفي أشكال مختلفة. تحتاج عقاد، التي كتبت مؤلفها هذا بثنائية اللغة، من خلال كتابته بالفرنسية، وترجمة سنتيا هان، الدكتورة في الآداب الفرنكوفونية في جامعة إيلونيو، كل صفحة من هذا الكتاب إلى الإنكليزية، إلى تعريب المؤلف ليكون "حجر زاوية" آخر في مشوار الدفاع عن كرامة المرأة ووجودها.

rosette.fadel@annahar.com.lb

Twitter:@rosettefadel